جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

تأثير الإيمان في إشاعة الأمن والاطمئنان من منظور القرآن والسنة

الدكتور محمد سعد الشويعر

الرياض

1410 هـ - 1990 م
أثر الإيمان في إشاعة الأمن والإطمئنان من منظور القرآن والسنة

الدكتور محمد بن سعد الشويعر

الحمد لله رب العالمين، القائل في حكم التنزيل: {ولو أن أهل القرى آمنوا واقتفوا لفتحنا عليهم بركات من السهاء والأرض ولكن كذبنا فأخذناهم بما كانوا يكسبون} والصلاة والسلام على من سماه قومه قبل البعثة الأМИن: فكان أمينا على أموالهم، وميّنا على أسرارهم، ثم أمينا على رسالة ربه بعد أن حمل أعباءها.

ويعود:

فاستمحكم عذراً أيها الآخوة إن لم أشيع هذا الموضوع الذي طلب إلي التحدث فيه وهو: {أثر الإيمان في إشاعة الأمن والإطمئنان من منظور القرآن والسنة}، ذلك أن هذا الموضوع واسع ومتشعب، وتتبع النصوص من الكتاب الكريم، وهدي المصطفى ﷺ يستوجب حيزًا أكبر، وجالاً أوسع، وكنت (٥) مستشار مكتب الرئيس العام لגדלات البحوث العلمية والاتناء والدعوة والارشاد. الرياض، المملكة العربية السعودية.

١ - سورة الأنعام. الآية: ١٥٣
اتهمي الحصر في جانب من جوانب الأمن الاجتماعي، أو بعض التشريعات التي فرضت على المسلمين وأثرها في اتساع الأطمئنان في حياتهم، لأن راحة النفس لا تكون إلاً بالأمان، ورخاء المجتمع لا يكون إلاً بالأمان، والأمان ثمرة من ثمار الأمان، وحصيلة من حصائل العقيدة الصافية، والأمان والعقيدة الصافية لا يكونان إلا بعد الدخول في الإسلام وفهمه جيداً وتطبيقه عملاً، ونفس لا إيمان فيها تبقى مضطربة وقلقة ونائمة وخائفة.

فأما اضطرابها فإنها كالسفينة التي تتقاذفها الرياح في البحر فتموج بها تقلبات الجو بيناً وشمالاً وتنقادفها العوامل المؤثرة التي تطفى عليها، فهي لم تجد ما يرسيها، أو يوصلها لبر الأمان، لأن كل نفس تأخذ مصدرها تشريعاً في سلوكها أو منهجاً عقدياً في تصرفاتها غير المصدر الذي أوجده الله للمؤمنين وارضاه سبحانه لعباده وبعث به رسله، فإنه لا يلبث رغبة ولا يريح نفسه ولا يحقق هدفاً.

وال مصدر الذي ارضاه الله هو كتابه القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه تنزيل من عزيز حكيم، وما بلغ به المصطفى من وحي عن ربه أمر أوضح من شرع لصالح الأمة وانقاذهم من الضلال، مما يعالج ما يختلط النفس ويؤرق الضمائر.
وبهذين المصدرين تسكن النفس من اضطرابها وترتاح في مسيرتها وتطمئن على حاضر أمرها ومستقبلها، أما كونها قلقة فإن من الغرباء التي أودعها الله في النفس حب استنكار المستقبل والخوف من العواقب ولكي تسير في اتجاهها، تلجأ يميناً وشمالاً للبحث عنها يحقق من أمل أو راحة من ضمير ولا يحوي هذا القلق والخيرة من النفس، إلاّ ببعين يزيل دواعي هذا القلق، ويقضي على مسبباته، والآيام بالقدر خيره وشره، واليقين بأن ما قدره الله كائن لا حالة، والرضا بقسم الله من أقوى دعائم هذا البقين كما في حديث ابن عباس.

وأما كونها تائهة: فإن من يسير بغير هدى، أو معرفة لشرع الله الذي شرع لعباده، فإنه كالمسافر في طريق لا يعرف اتجاهه، وطرق المسالك في العبادة والعقيدة كالطرق الموصلة من مكان إلى مكان، فالذي يأخذ المعروف منها بعلامات وارشاداته فإنه قد سلك الأمن الموصل، أما غيره من الطرق فإنها تؤدي للضياع والاضطراب النفسي، وتدعو للخوف على النفس من المخاطر العديدة وعلى المال والممتلكات، ألم يقل سبحانه: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ ۱

۱ - سورة الأنعام، الآية: ۱۰۲
ويقرن بذلك الأمور كلها الخوف، فهو مصاحب للاضطراب بل هو المحرك وهو المؤثر في القلق كا أن هو الذي يثير الذهن، ويدعو لعدم الاطمئنان. فالخوف على المصير والخوف من المستقبل والخوف من النتائج والخوف مما يحبط بالانسان. على نفسه وولده وماله وكل عزيز لديه، لأن أنواع الخوف كثيرة ودرايعها كثيرة لكن منهجها واحد.

وقد رسم رسول الله (ص) لأصحابه بوسيلة إيضاح جيدة، ما يؤكد طريق الأمان ويزيل الخاوف عنهم، وذلك باتباع ما جاء به من عند ربه، فقد خط خططاً مستقيماً في التراب، وقال: هذا الطريق الموصل إلى الله، وهو ما بعثني الله به، ثم خط خطوطاً جانبيتين مترفرة منه، وقال: هذه السبل، فمن اتبعها ظل وغوى (أو كما قال).

وفي كتاب الله عز وجل علاج سهل المأخذ من وقفة الله، يريح القلوب ويطمئنها من كل أمر مؤرخ قال تعالى: ﴿ألا يذكر الله تطمئن القلوب﴾ (1) أي ترتاح ويتذاكر ويسهل الأمر الصعب وهذا هو الأمن النفسي، الذي لا يكون إلا بتذكير عظمة الخلق سبحانه، فلا الله إلا الله: كلمة صغيرة في حروفها سهلة في نطقها لكنها عظيمة في مدلولها كبيرة في معناها

1 - سورة الرعد. الآية: 28
عميقة في تأثيرها: فهي مطيعة للنفس مهددة للأعصاب ومسكنة للجيشان.

ومادة أمن ومشتقاتها قد جاءت في كتاب الله أكثر من ثمانية مرة «۸۰۰»، فالمؤمنون والآباء والأمات، والأعيان، والذين آمنوا كلها من الأمور المرتبطة حسًا ومعنى بالآيات ونتائجهم. وكلها تؤدي جرابة قوية مع الله، ومن منطلق التمسك بشرعه، وكذلك الكلمات التي تدل على معنى الراحة والسكونة وتوفير السعادة للنفس وتذكرها بالله وعقابه من عصى وانحراف، والتعيم والفوز لم أطاع واستجاب.

وما ذلك الاهتمام الكبير في كتاب الله بهذا الجانب، إلا لما يولي التشريع الإسلامي من عناية فائقة بالنفس البشرية، وعناية بتوجيهها مع كفل ما يريحها ويومنها من المخاطر، حتى تعمل وهي مطيعة على النتيجة، مع راحة بال بالوصول لثمرة ما كلفت به لأن العمل قد حداد يعين وصدق.

وبالسنة النبوية قد اهتمت في هذا الجانب بترسيخ ما جاء في القرآن الكريم لزيادة تمكينه بزيادة الدلالة اللغوية والمعنوية، لأن زيادة تأكيد المعنى زيادة في تمكين المعنى. كما يقول بذلك البلاغيون.

والتعريف اللغوي لكلمة أم أنمًا وأمانًا وأمانة وأمنًا.
ومتيماً: اطمئن ولم يخف، فهو آمن من وآمن وأمين يقال: لك
الأمان أي قد امتلكنك، والبلد اطمئن أهله فيه، وأمن الشر
 ومنه: سليم وأمن فلانانا على كذا، وثق به واطمئن إليه أو جعله
 أميناً عليه وفي التنزيل العزيز: هل آمنكم عليه إلا كما
امتكم على أخيه من قبل.  

ومتيماً: كان أميناً، وأمن إيانا: صار ذا آمن;
وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) 1 في التنزيل العزيز:  
وما أنت بنعمة: جعله يأمن.
ومتيماً: قال: آمن وأمن على ماله وعلى
شيء: دفع مالاً نجماً لينال هو أو رزقه قدراً من المال متفقاً
عليه، أو تعوضاً عنها فقد، يقال: آمن على حياته أو على داره
أو سيارته، وأمن فلاناً: جعله في آمن، وأمن فلاناً على كذا:
أمنه والأمانة والوفاء والوديعة، والأمتين: من يؤمن بكل ما
يمح ويطمئن إلى كل أحد.  

---

1 - سورة يوسف، الآية: 64
2 - سورة يوسف، الآية: 17
3 - راجع المعجم الوسيط جـ 1 ص. 28 وفيه تفاصيل معاني آمن،
وكلها ترجع للإطمئنان وهذه التعريفات لا تخرج عنها جاء في كتب
اللغة كلها، بل فيها شمول لما جد في الحياة الحاضرة كالتأمين الذي
يشعر النفس بالاطمئنان ولم يعرف من قبل لدى اللغويين.
والأمن الذي يبحث عنه النفس في كل شأن من شئون الحياة هو جزء من هذه المشتقات التي جاء بها اللغويون وأوضحها، وقد جعل القرآن الكريم وهدى رسول الله (ﷺ) محور هذا الأمن الأدمان الذي مقره القلب سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها كالأمن الصحي والأمن النفسي والأمن الغذائي والأمن الاقتصادي والأمن الأخلاقي وغيرها.

أو ما يتعلق بالمجتمع وترابطه: كالأمن في الأوطان والأمن على الأعراض والأمن على الأموال والممتلكات وغيرها.

أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله ونقمه بامتثال أمره وطاعة رسوله واتخاذ طريق المتقين مسلكاً لكي تنقذ النفس بكسب رضا الله واستجواب رحمته والأمن من عذابه في نار جهنم وغيرها. وكل هذه الأنواع من الأمن مطالب ملحقة تسعى إليها البشرية في كل عصر وفي كل مكان وكل من حمل راية الزعامة في أي مجتمع وبيئة يدعو إليها لأنها هي التي تلامس أوتار الخاصة والعامة. ذلك أن النفس البشرية تبحث عن ذلك، ولا تدرك مدى الحاجة له، والضرورة الملحة إليه إلا بفقدانه أو انتقاص مربحة من مراتبه.

ويتصل هذا المدلول بما روي عن رسول الله (ﷺ) بقوله: «نعمان محدودتان، وفي رواية مصبون عليها كثير من
الناس - الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان». ولقد كانت الزعامات البشرية تغلب عن الأمان الأخروي، والأمن من عقاب الله، فإنها هذا عائد لنقص الأميان لديها أما نظرة القرآن الكريم وتوجيهات رسول الله (ﷺ):

فإنها تؤصل الأميان، الذي يجعل النفس البشرية مظلمة ترضى بما قدر الله، وتستسلم لقضائه وتحسب ذلك عنده أجرًا مدخرًا.

ومن هنا فسوف نعم عرضًا ببعض من المطالب البشرية للإطمئنان على شؤون الحياة، ليبرز في ذلك اهتمام التشريع الإسلامي بذلك في مصدره: كتاب الله وسنة رسوله الكريم (ﷺ). ليتضح لنا اهتمام القرآن الكريم بالعلاج النفسي المريح، قبل اهتمام علماء ومفكري العالم به والفرق بين الأهمامين أن الإسلام جاء من منظور مصلحة النفس البشرية، وتوجهها لما يسعدها، وأن المصلحة عائدة لهذه النفس في الأول والآخر، أما ما يضعه البشر من أنظمة، يخاطب بها ألباب الجماهير، وما تحمل من وعود ومطالب وخيالات، فإن هذه الأمور تتبدد كالسراقب لأنه يسعى لنفسه حتى يحقق ما يطلب، ويصل إلى غيشه حيث يتجاهل بعد ذلك ما وعدتهم به من سعي لمصالحهم، ويتناول لما يطمئنهم.
ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي بعثه الله رحمة للعالمين، قد كان قدوة صالحة في نفسه أولاً، بمنهج السلوك والعمل وبدعوته لتأصيل الإيمان وتمكين العقيدة في النفس لأن ذلك مما يطمئن النفس ويرجىها.

ومن هنا ندرك أهمية ما جاء في القرآن الكريم وسيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) من آيات وعبر تقوي دعائم الإيمان وتمكنه من النفس في كل أمر يعترض الإنسان من أمور حياته وآخرته. وهذا يدعونا إلى إيراد تعريف للإيمان لغة وشرعا، لأن من التعريف يرسخ المفهوم المراد على ضوء ما يستعرض من أدلة.

فالإيمان لغة: هو التصديق والاطمئنان وقد مر بنا جزء من تعريفات مادة أمن في اللغة والتي توسعها فيها كتب اللغة توسعاً يشبع نهم الباحث وهي سهلة ميسرة لن يريدها. أما في الاصطلاح الشرعي: فهو الإيمان بالله والإيمان بملائكته والإيمان بكتبه والإيمان برسله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

فهذه الأمور الستة هي التي عليها مدار النفس وتفكيرها في حاضرها ومستقبل أمرها في شؤون الحياة الدنيا وما يصلح الأحوال فيها، وفي المستقبل المنتظر حدوثه في هذه الحياة أيضاً أو ما يصل بعد الموت وعند البعث والشغور.
فالقرآن الكريم قد أعطى هذا الجانب اهتماماً كبيراً، لما له من أثر في توطيد النفس البشرية على ال رضا والاستسلام والترقب والاهتمام، وفق منطلق عقدي، جعل التوجيه الإسلامي قاعدة متينة يرتكز عليها، وسندآً قوياً يدعمه، لتشد بذلك جوانب النفس حتى لا تنحرف أو تزغي.

وإذا كانت النفس البشرية في عصرنا الحاضر الذي تقاربت فيه الشعوب وتداخلت الثقافات قد أعطتها الاضطراب، بحيث أصبح القلق يؤثر عليها في كل شيء: فهي تخاف من بعضها البعض، وهي تخاف من كوارث الحياة، ريحًا أو مطرًا، أو أعصاير أو ثلوجًا، وهي تخاف من الأمراض المتعددة والأوبئة، وخاصة ما يظهر جلياً في وسائل الإعلام منذ عامين عن المرض القاتل: "الأيدز"، كا كانت تخاف من السرطان وغيره، وهي تخاف وتضطرب من أمور كثيرة وممتعددة لا يمكنحصرها، حتى أصبح الخوف والقلق سمة من سماتنا، وانتشر تبعاً لذلك الانتحار والرغبة من الخلاص من هذه الحياة، وما ذلك إلاّ من نقص الآمان في قلوبهم وضعف الواجب العقدي المرتبط بالله وبدئته الذي يرضيه لعباده، ذلك الواجب الذي يجعل النفس تؤمن بقضاء الله وقدره بدون تسخط أو تأسف وتخطب الأجر فيها تتحمله النفس عند الله مدخراً في يوم الجزاء والنشور، عندما يحصل ما في الصدور، ويؤكد هذا.
المعنى رسول الله (ṣallallāhu 'alayhi wa sallam) فيها رواه ابن عباس رضي الله عنها قال:
كنت رديف رسول الله (ṣallallāhu 'alayhi wa sallam) يوما فقال: ياعلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرحمن يعرفك في الشدة، واعلم إن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك متفق عليه.
وَاللَّهُ سَبِحَانَهُ وَتَعَالَى يَسُوقُ الكُوَارِثِ عَلَى الْبَشْرٍ فِي حَيَاتِهِمَا الْدُنْيَا لِيَنْفُسُهَا وَلِيُعْيِدهَا إِلَى خَالِقَهَا وَيَرْبِطُهَا بِمَوْجُدهَا وَيُذْكِرُهَا بِكُلِّ بَعْدِهَا وَهَذَا هُوَ الْإِيَمَانُ بِاللَّهِ وَيَكِبِرْهُ وَبِرْسُلِهِ وَهُوَ مَعْرُوفُ الْحَقُّ المَطْمِئِنُ الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِيَمَانًا بِهِ وَعَاطِقًا بِأَنْ بِنَعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ اٍرْجَعُونَ أُولَٰئِكَ مَعْصِيَهُمْ قَالُوا إِنَّا لَلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَى هُمْ صَلُوَاتٌ مِنْ رِبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونُ(١)

إِذَا كَانَتْ هِذهِ الْبَلْوَى فِي نَزُولِ الْمَصِيبَ عَلَى النَّفْسِ المُؤْمِنَةِ مِنْ أَجْلٍ أَنْ يَقُوَّى إِيَامَهَا وَتَسْتَعِينَهَا عَلَى الصِّبَرِ وَالْتَحْمِيلِ فِي مَجَابَةِ مَا يَنْزِلُ مِنْ بَلْوَىٰ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ تَرْسِيْخِ الْإِيَامِ والْإِطْمِئْنَانِ بِتِمْكِيْنِهِ، ذَلِكَ أَنْ تَسْلِيمُ الْأَمْوَرِ اللَّهَ وَعَدْمُ الجَزِءِ مَا حَلَّ لَا تَتَحْمِلْهُ بِصَبِّرٍ وَثَبَاتٍ وَرَضَا وَإِطْمِئْنَانِ النَّفْسِ المُؤْمِنَةِ

١٠١ - سورة البقرة. الآيات: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧
المحتسبة، وقد سماههم الله في آخر الآيات بالمهتدين السائرين على الدرب المستقيم.

والصبر يأتي على ضررين: صبر المؤمن الذي يرجو أجر الله ويخاف عقابه فيتحمل في سبيله باطمنتان ورضاؤه أموراً كثيرة وهذا هو الذي حث عليه القرآن الكريم في أكثر من ستين موضعاً وهو أول نوع من الجهاد فرض في الإسلام، فقد مكتَّب (6) في مكة ثلاث عشرة سنة يرسخ في أصحابه عقيدة التوحيد، ويأمرهم بالصبر على أذى قريش حتى يجعل الله لهم نصرًا، ويطمئنهم بنصر الله وتأديبه، وأن الغلبة لله ورسوله وللمؤمنين.

وصبر الكافر على ما ينزل عليه من مصائب وكوارث فهو إن صبر كبير احتساب وصبره كصبر البهائم لما يحمل عليها من أثقال أو تلقى من أصحابها، وهو إن جزع فإنه يجزع بتسخط على الله الذي قدر الأشياء لحكمة وعبرة، فحياته قلق وضجر.

والقاسم المشترك ما بين المؤمن والكافر في تحمل المصائب والكوارث والاستسلام للأمر وتطبيقه أو النكوص عنه هو العامل الإيماني، الذي تتفتح عنه النفس وتتقبله القلوب كما توضحه الآية الكرية: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم»(1)

1 - سورة محمد. الآية: 31
والقرآن الكريم يربط كل عامل من عوامل الدنيا التي تجعل الإنسان قلقًا بشأنها، بقوة العقيدة وسلامة الإيمان ونقاوته وبذلك يخف الوطأة وتلهل المصيبة، فهو يخاطب النفس بما يطمئنها ويريجها، ويهدى ثائرتها، ولن تم بالقارية لكتاب الله آية إلا وفيها يلمس سراً عجيبةً، وعلاجًا مريحاً، يزيل عن النفس كابوس القلق ومؤثر الاضطراب.

وهذا هو أقوى علاج نفسي للخروج من ذلك المحيط الذي لم يعرف وجوده لدى المسلمين إلا بعد ضعف الوضع الإيماني والتساهل في أمور الدين والبعد عن كتاب الله الذي هو أكبر مؤثر يريح النفس وتظمن به لما فيه من عظات وعبر ووعد ووعيد وهدي المصطفي الذي يعطي لكل حادثة حديث، لكل حالة خرج.

وليس هذا المفهوم منا معاشر المسلمين الذين نجد العلاج مثالاً قولاً وعملاً فقط، ولكن رجال الغرب المهتمين بالنفس البشرية وما تعانيه مجتمعاتهم في قرنا الحاضر من قلق واضطراب، وأزمات عديدة، فقد جاءت دراسات منهم تقول: إن المسلمين لا يعرفون الانتحار المنتشر في بلاد الغرب، وإن المسلمين لا يعيشون الاضطرابات المتعددة التي وقع فيها أبناء الغرب، وبعضهم يطلق على أجيال ما بعد الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية أجيال القلق والضياع الفكري.
ومن هنا نلمس في ديارهم كثرة المصاحات النفسية وانتشار شركات التأمين على كل شيء يخشون ضياعه أو حلول كارثة فيه.

فاستغلت شركات التأمين التي أسسها اليهود بوسائل إعلامهم المختلفة وصبوا دماء الشعوب ودعوا إليها، عندما استغلو القلق الذي يعيشه أولئك الذين فرغت قلوبهم من الامان بالله، فسهل عليهم جذبهم الى مصايدهم، واستغلن نقطة الضعف فيهم، ومن هنا ندرك بعضًا من سر عداوة اليهود للإسلام وأهله حسباً أووض الله عنهم في القرآن الكريم: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركون وتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إذا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون، وإذا سمعوا ما أنزل الله رسولاً ترى أعينهم تفيض من الدموع ما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطيع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين.

فاليهود وصفهم الله بشدة العداوة لأهل الامان لأنهم

1 سورة المائدة، الآيات: 82 - 84.
يعرفون الله ويعرفون الحق الذي أنزل على عباده ويتكون العمل به واتباعه قصدًا، وبسباق اصرار، وعن علم ودراء، فلذلك كانوا أعداء الله ولاهل الإيمان، وأخذوا الأسبقين من هذا قبل المشركين عبادة الأصنام، للمعاناة والخالفة والعلم، قلوبهم قاسية وحائدة.

أما النصارى ففيهم رقة تقريهم من المؤمنين فإذا أوضح هم الحق استجابوا لندائه، فهم أقرب للإيمان بآيات الله كما وصفتهم الآية الكرية.

وما يجعل من قساوة قادة النصارى، ورجال الكنيسة ضد الإسلام فهو لأحد سببين:
- ـ أما مصالح قيادية تخشى عليها.
- ـ واما بتحريض من اليهود الذين يولون النصارى ليجتمعوا سوياً في مخاربة الإسلام.

ولذا امتن الله على أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) بطرق وسط بين غلو النصارى وجهود اليهود. فالمؤمنون من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) المصدرون بشرع الله الذي جاءهم من عند الله والطغيتة قلوبهم بصدري التشريع في الإسلام عن عقيدة وقين، بدعون الله بالاستقامة على الطريق المستقيم الذي يمثل عقيدة وسطًا، وعملاً لمشيئة فيه فيكلف النفس فوق طاقتها فتم، يقول الله تعالى: «اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين».
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فالغضوب عليهم هم اليهود الذين عصوا الله عن علم ومعرفة، والضالين هم النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال.

وقد قال سفيان الثوري رحمه الله: من فسّد من عباد أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ففيه شبه بالنصارى، ومن فسّد من علمائهم ففيه شبه باليهود.

فالإسلام هو دين الحق المطمن بتعاليمه، المرجع بنبهجه، وهو دين إبراهيم الخليل عليه السلام آب الأنبياء الذي عرف آيات الله في حداثة عمره، ففي حواره عليه السلام مع قومه عندما دعاه فالامان بعدما تبرت الآيات، نراه عليه السلام يدعوهم لترك الأصنام، ويخوفهم بها، لأن قلوبهم متعلقة بها لاعتقادهم النفع والضر منها، أما هو فلا يرى غير الله جالباً للنفع، وداعياً للضر، فهو سبحانه الذي يجب أن تؤمن به القلوب، وتسليم أمرها إليه لتهتدي وتطمئن، فتأمن وتستقر ويرز هذا العامل الإيزيدي في هاتين الآيتين الكرمتين حكاهما الله على لسان إبراهيم عليه السلام: وكيف أخف ما أشركن ولا تخافون أنكم أشركون بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا فأتي

1 - سورة الفاتحة. الأيتان: ۶, ۷.
الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمونُ الذين آمنوا ولم يلبسوا
أيامهم بظلم أولئك هم الأمن وهم مهتدونٌۚۚ و
فكان هذا الحوار الكريم من نبي الله عليه السلام دعوة
للآيام تطمئن القلوب، كما أنها حجة قاطعة تسكت من
يناشق، فإذا كان الآيام غريزة في القلوب، والتطرق فطرة فطرة
الله الناس عليها، فما هو الطريق الأفضل وما هو الشيء الذي
يريح النفس، ويهدي من ثائرتها ويفضي على المشكلات التي
تعتبرها؟

إن ذلك لابد أن يكون شيئاً عملياً تتجاوز فيه
الأحاسيس مع الوجدانيات وتتعاطف فيه الحوار مع الأعمال
ويكون فيه انسجام بين المعقول والمنقول، وبين الأخذ والأخذ
منه. وهذا كله لا يتائق في علاقة بأوهام، ولا مبوعدات غير
مستقرة لا تنفع أو تدفع عن نفسها شيئاً.

ولذا جاء وصف الله جل وعلا لحوار إبراهيم الذي يدعو
للآيام عقيدة وعملاً، بمقارنة بين آهتمهم التي أشزروا مع
الله، في عمل لم ينزل الله به سلطانًا، وبين الرابطة مع الله
الذي تطمئن بذكره القلوب، وترتاح بالتوكل عليه هواجس
نفس، بحيث تبتعد عن المؤثرات عليها. جاء الوصف لذلك

1 سورة الأئتم. الآيات: 81، 82.
هذة حجة قوية على قومه حيث لم يجدوا لذلك جواباً، إذا لا شك أن الأمن مع الإيمان بالله وراحة الضمير مع عقيدة الوحدانية به سبحانه، فقال تعالى: »وَإِذْ نَحْتَجَّنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُرْفَعَ مَرَجَّعَةٌ عَلَيْهِمْ...« (1)
والإيمان الذي تطمئن به القلوب، وترتاح به النفوس، يدخل في كل شأن من شؤون الإنسان، فالعمال لا بد أن تنتبق بالإيمان وترتبط به، لأن الإيمان بالنسبة للعمل بمثابة المرشح للقاء، فالمرشح يصفى الماء، ويترك بالرواسب فيه فلا يخرج إلا ماء صافياً ونظياً صالحاً للشرب، يحافظ على الصحة.
وذلك الإيمان بالنسبة للأعمال قد وضحه القرآن الكريم والسنة المطهرة لأن الأعمال الصالحة مها كانت والحصص الحميدة التي تزرو إليها الأفئدة، وتناوئ النفس من المويقات والمحظورات كل ذلك ثمرة الإيمان. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا الله إلا الله، وأدنها إماتة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» رواه مسلم.
إذا كانت امالة الأذى عن طريق الناس حتى لا يؤذينهم

1 سورة الأنعام. الآية: 83.
إذا مروا به، أو وقعت عليه أقدامهم وهي من أبسُت الأعمال
يعتبر من الائمان الذي يطمئن القلوب، لوجود رابطة تضم
شمل المؤمنين، وعاطفة تجعل بعضهم يهتم بالآخرين، ولو في
الشيء البسيط من الأعمال والأقوال. فإن دين الإسلام كا هي
نصوص تعاليمه، تمكن عقيدة الائمان بأعمال أخرى، منها ما
هو عائد لنفس وحدها كالحياء الذي أخبر عنه رسول الله
(ﷺ) بأنه شعبة من شعب الائمان الكثيرة التي حدد عددها في
هَذَا الْحَدِيثُ(1)
والائمان لا يكون قويا إلا إذا وفر في القلب، وسيطر على
المشاعر، وقد أوضح هذا المدلول رسول الله (ﷺ) بقوله:
ذاق طعم الائمان من رضي بإسلام ربا وبالإسلام ديناً ومحمد
رسول الله رواه مسلم.
وكان من دعاء مالك بن دنبار رحمه الله: اللهم أذني
حلاوة الائمان.

1 - البضع ما بين الثلاثة والعشيرة كأ في سورة الروم التي اطمأنا بها قلب
أبي بكر الصديق رضي الله عنه وخبر بها قريش، وفي بعض الروايات
أنه راهنهم عليها: ﴿لمَّا غلبت الرومِ ﴾ في أدنى الأرض، وهم من
بعد غلبتهم سيفلون ﴿في بضع سنين الله الأمر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون ﴿بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز
الرحيم﴾.
ذلك أن للإيام مذاقاً صار درجة مرغوبة، ويث عليها الإسلام، وهذا هو العلم الذي يتفع صاحبه، وينفع الآخرين، لأن العلم يرشد العلم بطرق الصواب، ويوجيه لما فيه الخير، وهذا مشهد من مشاهد يوم القيامة يوضح فيه أهل العلم الذين آمنوا بالله: حقيقة معرفتهم ما أوجبه الله عليهم، بما علموه من العلم النافع والمفيد، فطبقو في حياتهم، واطمأنت به قلوبهم في يوم الفزع الأكبر، والخوف الشديد، فهم يقولون ذلك وبراحة نفس، واطمئنان قوي، حيث آمن الله روعهم، وسكن قلوبهم بعقيدة الإيام، يحكى الله جل وعلا هذا المشهد بقوله: "و قال الذين أوتوا العلم والإيام لقد لبتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كتمتم لا تعلمون".

فأصبحت علومهم الدنيوية ومقدرتهم في اللجاج والحجج لم تنفعهم ولم يعتبر ذلك علماً لأنه لم يقتدهم من أهوال ذلك اليوم، ولم يصلهم لباب من أبواب الاطمئنان والهدوء النفسي، عندما وقعوا في الأمر، ووصلوا إلى يوم البعث والجزاء، يوم القلق النفسي، أو الراحة والاطمئنان والنتيجة. هذه لا تتأق الى بالعمل وفق منهج كتاب الله، وهدي رسوله

1 - سورة الروم. الآية: 56.
لقد قال بعض المحاربين من علماء الإسلام في صدره الأول: "إذا سمعت في كتاب الله: يا أيها الذين آمنوا، فاصغ إليها سمعك، فهو إما خير يأمرك الله به، أو شر يحذرك منه."

وموقف يوم القيامة يختلف عن المواقف الدنيوية، بل إن الايمان في ذلك الموقف بعد أن تذهل النفس، وتضطرب القلوب من هول مانرى لا ينفع، لأن وقت الايمان والبصر قد أنهى، فالإيمان وقت الحياة الدنيا، حيث النسحة من العمر، وحيث الابتلاع والاختلاف، وحيث موطن النزاع بين الخير والشر، بين الشيطان وأعوانه، وبين الاستجابة للحق وهو اتباع دين الله، وما جاء في كتبه، ونزل على رسله.

وهذا ما يؤصله القرآن الكريم والسنة المطهرة بأن مواطن الاستجابة في الدنيا حيث تصارع النفس هواها، ويدعوها الهدى الشرعي للموقف باطمئنان دون نوازع الشر المخالفة له فالنبوة التي جعلها الله تطهيرًا للنفس، ما هي إلا عودة للإيمان باطمئنان وراحة عندما تسير النفس في الابتعاد عن أواامر الله وتعاليم شرعه. وهي مدخل إيماني واسع تحت عليها المصادر الشرعية في مواطن كثيرة، وبترغيبات أوضحها رسول الله (سيدنا محمد) تشهد النفوس وتقويها في الاستجابة وتطعما برجاء وخوف في الفضل العظيم المحسوس والملموس، استمع

١٣٧
مثالًا إلى قول الله تعالى: "قل يا عبادي الذين أصرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم" (1).

باب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة، كما أخبر بذلك رسول الله (ﷺ). (2)

وبالنسبة للنفس البشرية فما يطمئنها أن التوبة مقبولة مالم تفرغر الروح، وهذى بشارة مريحة تبعث الأمل.

وعلاقة آفاق باب التوبة في هذه خروج الدابة التي تسم الكابر والمؤمن، لعقيدة كل منها فلا يخفى بعضهم عن بعض كما قال تعالى: "وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا أتائنا لا يوقنون" (3) ذلك أن الخير في الايمان وإن النجاة في التمسك به. فظواهره في الدنيا بارزة في أمور من حياة الفرد والجماعة، سنمر ببعضها عرضًا، أما الحديث عنها فيبطول.

وفي الآخرة بالفوز والنجاة بما تجده النفس مدخرًا.

1 - سورة الزمر الآية: 53.
2 - راجع أحاديث التوبة في صحيح البخاري ومسلم وهي كثيرة في بابها.
3 - سورة النمل الآية: 82.

١٣٨
يتمثل أمامنا عينا بارزة، بعد أن كان أمراً خفياً، فتتمى العودة للإيمان ولكن لا مجال لذلك يقول عز وجل في تخويف الكذبين المعاندين: ًهل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتي ربك، أو يأتي بعض آيات ربك، يوم يأتي بعض آيات ربك، لا يفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، قل انظروا إذا منتظرونً(1).

وكمشجع واقع يجب أن أخذ منه النفس عبرة يحكي الله قصة فرعون الذي طغى وتجبر بعد أن أدرك الغرق، وعاين العقاب، فضاع عنه عزه وسلطانه، ودب فيه الخوف لأنه لم يستطع أن يدفع عن نفسه شيئاً، فأراد أن يرجع للإيمان لعله بنقذه بما حل به، فقال الله جل وعلا موضحا هذه الحالة: ًحتى إذا أدرك الغرق قال آمنت أنه لا الله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت من قبل وكت من الفسدين * فاليوم ننجيك ببنبك لتكون من خلفك آية **(2).

فآيان فرعون الذي قال: يريد به الأمان والاطمئنان من عذاب الله وعقابه، بعد أن عاين المصير الذي سيؤول إليه كياً

1 - سورة الانعام. الآية: 158
2 - سورة يونس. الآيات: 90 - 92
 جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «أن الميت إذا مات فإن كان محسناً قال: عجلوني عجلوني وإن كان مسيئاً يصبح يا ويلتاه أين تذهبين بي فيسمعه كل شيء إلا الثقلين الإنسان والجن ولو سمعوه لصعقوا» وما ذلك إلا أن الأول قد رأى منزلته جزاء احسانه فاطمانت نفسه وأحب الاعترا بالوصول إليها لأنها تفضل من الله عليه.

وأما الثاني فإن أنه رأى منزلته السيئة جزاء تفرطه وساءته.

العمل فخاف من ذلك النصير فهو يرد الابتعاد عنها ولكن لا مناص من ذلك وأشد ما يستطيع الخائف التعبير عنه هو بالصراخ والدعاء بالويل والشبور والرغبة في عدم مواجهة الأمر.

وفي عصرنا الحاضر تكون أجهزة عديدة للمحافظة على المجتمعات وتأميم سلامة الفرد والجماعة على نفسهم وذويهم ومتلكاتهم وسمي بعض هذه الأجهزة بالأمان، وحرصت أجهزة الأمن هذه في كل دولة ومجتمع أن تأخذ بالأسباب التي تطمئن الفرد وتشعره بالاهتمام به بحسب متطلبات هذا الأمن فوضعت النصائح والتوجيهات الحيوية وتكوين الأجهزة والأعمال السرية والعلنية وابتكرت النماذج للمحافظة والاهتمام مع اليوافة في محاولة الطريق المؤدية لذلك. فهذا هو الأمن الاجتماعي والأمن الصناعي الذي يدخل تحته.
حفظ المجتمع من انتشار الجريمة بالقتل حتى لا يطغى قوي على ضعيف وحتى لا يسفك دم مسلم بغير حق إلا أن المجتمع الإسلامي قد حافظ بالقصاص والحدود في مثل قول النبي (ﷺ) "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا الله إلا الله وأن محمد رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأمواهم الآ بحقها وحسابهم على الله تعالى".

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم أمرى مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والثائر لديه المفارقة للجماعة» رواه البخاري ومسلم.

فلاسلام الذي اختاره الله دين آخر أمة أخرجت للناس يؤمن النفس ويعظو عليها ويعصمها من التعدي على غيرها ويعظو حقها في التعدي عليها بغير حق، فالنفس في الإسلام ملك لله لابد أن تعيش آمنة مطمئنة وفق شرع الله فلا يحق حتى لصاحبها أن يوردها المهلك أو يجعلها فوق طاقتها ولا أن يقتل المرء نفسه للخلاص من قلق حل به في الدنيا لأي سبب من الأسباب.

فالرسول (ﷺ) يقول: «لا يسمين أحدهم الموت لضمره ولكن ليأكل الله أحيين ما دامت الحياة خيرا لي وأمنتي إذا كان الموت خيرا لي» ويقول صلى الله عليه وسلم في توعيد لمن قتل نفسه (من قتل نفسه بشيء فهو يجيءه به في نار جهنم).
وقاتل نفسك في النار، وحتى يأمن المسلم من أخيه المسلم، ويطمئن الى عدم إلحاق ضرر به منه يقول (لا!) في خطبة الوداع وهو في غرفة: «أي يوم هذا؟ قالوا يوم عرفة قال وأي شهر هذا؟ قالوا شهر ذي الحجة المحرم قال وأي بلد هذا؟ قالوا بيت الله الحرام قال: إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا». فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يجهل اليوم والشهر والبلد ولكنه سأله سؤالا تقريريا ليتمكن الجواب من نفسهم ويثبت ما سوف يبني عليه من حكم، كما يقول بذلك البلاغيون. وكجزء لعقاب تخفيف المسلم وزعزعة الأمن من نفسه، بالاعتداء عليه جاء العقاب الشديد الذي جعله الله زاجرا لمن قتل مومنا خطا. فتحرير رقبة مؤمنة رديه مسلم أما أهله إلى أن يقول سبحةه في عقاب العمد الذي أزال الأطمئنان من النفوس ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيمًا.

وأنواع العقوبات المفروضة تطمئن المجتمع وترزيل الحقد من النفوس وتزود من تسول له نفسه الإقدام على أمر في جنابة وإقلاع للمجتمع حيث يقول سبحانه (ولكم في القصاص

1 - سورة النساء. الآية: 92
2 - سورة النساء. الآية: 93

142
حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون من أسباب الاطمئنان في المجتمع والقضاء على الجريمة لأنه يقضي على الفتيات القاسدة في المجتمع حتى لا بتوسع نطاقها في أجزاء أخرى منه حسبا نرى في المجتمعات الغربية التي رأت بالمجرم لأنه في نظرهم يحتاج إلى الرعاية والعطف فهو لم يرتكب الاجرام في نظر المهتمين بأمره إلا من مؤثرات تحيط به من صحية أو اجتماعية أو أسرية أو غيرها، فماذا كانت النتيجة؟

إنه بالنسبة للمجتمع حسبا واقع الحال: خوف واضطراب وقلق مستمر، وبالنسبة للأفراد انها أعراض، وقتل أنفس بريئة وتشويه وعقاب لم يقتل، وبالنسبة للأموال: نهب واعتداء وتسليم.

أما بالنسبة للمجرم نفسه: فسجن محدود وغرامات مالية قليلة، ثم يخرج للمجتمع من جديد ويفتخر في عالم الجريمة، وهكذا تستمر الخفية.

لكن شرع الله الذي شرع لعباده في القرآن الكريم، هو الذي يصلح المجتمعات ويفضي علي جذور الاعتداء

____________________
1 - سورة البقرة. الآية: 179

143
ونالاستخفاف بالنفس وإخفاء الآمنين لما فيه من جزاء رادع يقضي بتطبيقه على الشر لأنه لا يصلح النفس ويردها عن ذلك إلا هذا الأسلوب قال تعالى: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص). (1)

وقال تعالى: (فيا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى). (2)

وهذا هو حكم الله الذي فيه طمأنينة المجتمع وإخفاء الفاعل والردع عن التمادي في العمل الضار قد أنزله سبحانه على بني إسرائيل في توراتهم فخالفوا وعاندوا وبدلوا، فكانت النتيجة جرائم متتالية واضطرابات تزعزع النفس، وسار على منواهم النصارى فحل بهم ما حق بسماههم حسبا نلمسه اليوم في قوانينهم الوضعية من امتداد لذلك العمل حيث تجني الشرارات السيئة، بما يطبع على الصحافة من أخبار، وما يبرز في تقارير الجريدة من أرقام.

واختار الله هذه الأمة لتطبيق ذلك فأمن مجتمعهم وطمأن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأمواتهم عند الامثال، ثم دب

1 - سورة المائدة. الآية: 45
2 - سورة البقرة. الآية: 178
القلق في بعض المجتمعات الإسلامية لأن أقوامًا استبدلوا بحكم الله قانونًا بشرياً وغيروا ما أراده الله بما أخذهو عن غيرهم تقليداً واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.
ولا شيء يؤمن المجتمع ويحفظ الأمة ويقضي على أسباب الخوف، إلاّ بتطبيق ما ارتضاه الله في شرعة وآده رسله الكريم، بحماية الأفراد والمحافظة على الجماعات لأن الله بعباده رؤوف رحيم.
حفظ الأموال من التعدي والحقوق من التطاول، فالإسلام قد جعل لكل مال حرزه المعتاد حفظه فيه فمن أخذ شيئاً من حرزه اعتبر سارقاً، والسارق أعطي جزاء بقطع يده التي تطأوت على ما ليس لها لضياع الأمانة من القلب وضعف الامان في النفس، قال تعالى {والسارق والسارقة فاقطعما أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم}١.
فقطع اليد ليس عدواناً أو بقصد التشويه للسارق أو السارقة ولكنه جزاء لها باستخفافها بالأمان، وترويعها الناس الآمنين، واعتدائها على ما ليس لها، وعدم احترامها لشرع الله الذي يحفظ الحقوق، ويوفي الناس بالمحافظة على الأنساق والأموال من التعدي والتطاول بغير حق ونكالاً من الله لعدم

1 ـ سورة المائدة. الآية: 28.
الوقف عند حدوده التي شرع لعباده لأن التعدي استخفاف بذلك، والله عزيز في ملكه حكيم في إرادته وتشريعه.

وقد يعتد اللصوص بتنظيمهم وقدراتهم في إخافة الناس وسطهم هنا وهناك على ممتلكات الآخرين، فيقطعوا السبل، ويفسدوا في الأرض، ويعلنوها حربا على الله بامتهان شرعه وتسلطا على المجتمع بقطع الطرق وإخافة الناس، والاعتداء على الأموال والأعراض، والفساد في الأرض، حيث يضطربون ميزان العدل، وتخلخل أركانه، فإذا نشأ شيء من ذلك في مجتمع من المجتمعات أزعج السلطة، وضعف كيانها، وضاعت الجلة هذا المجتمع وإعادة الهدوء والأمن إليه فيأتي شرع الله العزيز الحكيم ليحل هذه المشكلة، ويقضي على هذه المعضلة، بحل قاطع حسبا يقول سبحانه: "إِنَّمَا جَزَاء الذِّين يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يَقْتُلُوا أَو يَصِلِّبُوا أَو تَقْطَعُوا أَيْدِيهِمْ وَأَرْجَلْهُمْ مِن خَلَافٍ أَو يَنْفُفُوْنَ مِن الأرض ذلك فَلَم يَخْرِيجُهُم فِي الْدُنْيَا وَلَم يَخْرِيجُهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابَ عَظِيمٍ إِلَّا الَّذِين تَابَوا مِن قِبَلٍ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِم فَأَعْلَمُوا أَن اللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)."
وقد قال الباحثون في أصول الجريمة، المهتمون بطمانينة المجتمعات، إن الإسلام قد وضع قاعدة قوية في القضاء على الجريمة، في تحرره الأمور التي تسبب عنها أو تدعو إليها كالخمر والزنى والربا والميسر، ثم بوضعه قواعد ترييغ العاملين بها وفق منهج سليم يرضي النفس، ويعطي كل ذي حق حقه، ويمنع التعدي، ثم يفرض جزاءات تجنب الشرور من المجتمع، لأن من فيه نزعة شر لا يرتاح إلا بإزواجه الآخرين، ومثل هؤلاء كالجرثومة التي لا بد أن تكون أو كالعضو القاسد لابد من بتره، وإلا انتشر الداء في الجسد وإن من يتمعن في مدلول الآيات القرآنية الأئمة الذكر، يدرك منهج الإسلام الصارم في القضاء على الأمور التي يترتب عليها اخلال بالأمن وإزواجه للبشر وإضرار بالأمة ومعلوم كما يقول علماء الاقتصاد: بأن رأس المال جبان لا يطمئن إلا بالأمان، ولا يتحرك وينمو إلا مع الأمن الوطني، والقضاء على مشير القلقاق الآخرين بجهد الآخرين، المخيفين للسابل، وذلك بسلطة تجازيهما في الدنيا، وقطع دابرهم من المجتمع، وعمل هذه السلطة يدعمه تشريع قوي، ولا أقوى من حكم الله ورسوله وتطبيقها نجيف من تسول له نفسه العمل مثل عملهم.

وفي المجتمع الغربي والأمريكي بصفة خاصة الذي أزعمت الجريمة، وأغلقت مواطنيه وسائل الاستخفاف بالحياة،
من فئة معينة من البشر، ضح الناس هناك، وتأثرت كثير من مصالحهم، فرأى بعض رجال الأمن عندهم أن الخلق الوحيد في تحليل المجتمع الأمريكي بما يورق، وتخفيف ما يسبب المجرمون للمجتمع من أمور كثيرة، بكم في تعاليم الإسلام الذي يجعل على النفس رقابة قوية أخرى من رقابة الشرطة "البوليس" وأنظمتها.

وقد جاءوا بأملة: إن مجرمين متواصلين في الإجرام، ومن أصحاب السوابق قد أصلموا في داخل السجن فصلحوا، ولم يعودوا للسجن بعدما خرجوا منه، أما من خرج منه وهو على ديانته السابقة فإنه لا يثبت حتى يعود للسجن مرة ومرات.

ومن هذه الدعوة بدأ كثير من الولايات يدعو المسئولين الاجتماعيين والدعاء من المسلمين لتأدية محاضرات زيارات منظمة للسجن الذي أصبحت أوسع ميدان للدعوة الإسلامية، وقد قال بعض المسؤولين في الأمن عندهم إن الخلاص من الجريمة لا يكون إلا على يد الإسلام وهذا أكبر برهان محسوس على أن الإسلام يقترب بالأمن والاطمئنان وراحة النفس.

ولما كان المال من أعظم ما يملك الإنسان وهو الذي يسير الحياة في المجتمعات، فإن سبيل الخوف عليه ساقت عبادة
اليهود ومن يشاعهم إلى ابتكار أساليب للمحافظة عليه وكنزه، وكان مما فرضوه على المجتمعات التي يعيشون فيها: الربا وهو زيادة المال بدون جهد، فلا يحصل النفع من المال بالتداول، ولا يزداد الفقير إلا فقرًا وحقدًا على الغني الذي تتضاعف أرباحه بجهد هذا الفقير.

ومن هنا جاء تشديد الإسلام في الربا، واعتباره محاربة لله، ومن ذا الذي يستطيع محاربة الله ومحاربة رسوله.

وقد قرن الإيمان وطمأنينة القلب على النفس وعلى المال بترك هذا الربا وطرقة المتعددة، التي اختر صلى الله عليه وسلم بأنها ثمانية بابًا، أذنبا أن يتلك الرجل أمه علانية، وهي كلها أمور شريفة، تبعث القلق والقشعريرة في الإنسان وحواسه ومن ذا الذي يجابه ربه، ويعاند رسوله في حرب معلنة، اسمع إلى قول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا فإن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون".(1)

وحتى يرتاح المديون، وتطمئن نفسه إلى وجود قلوب

---

1 - سورة البقرة. الآيتان: 278، 279
رحيمة ترق له، وتهتم به ولا تنسوا عليه وتراعي حالته التي حلت به، من عسر أو فقر أو كارثة، فقد أمر الله صاحب المال بمراعاة الموقف، وطمانة أخوانه المسلمين، وعدم التضييق عليهم في المطالبة فقال تعالى هذا الأمر: "وإنا ذو عسرة فنفرة إلى ميسرة وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون".1

ويقول صلى الله عليه وسلم في حكاية الرجل الذي كان له ديون على الناس، فكان يرسل غلمانه فيقول لهم: إذا رأيتم لمعسر فتجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فلقي الله وقد تجاوز عنه.

وبعكس ذلك، فقد اعتبر صلى الله عليه وسلم: مطل الغني ظلم، لأنه قادر على الوفاء ويمنع الناس حقوقهم الواجبة.

وآيات الربا التي نزلت في تحرمها في سورة البقرة، وتؤكدات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خطبة الوداع، وفي توضيحاته لأنواع الربا، كل هذا من أجل تكوين مجتمع صالح، متماسك لا يتسلط عليه قوي على ضعيف أو يستغله من أجل ضعفه;

1 - سورة البقرة. الآية: 28
ولا يكذب صاحب مال ماله لمنفعته الخاصة أو ليتحكم في قوت خلق الله.

بل لا بد أن يعمل فيه ما يسعد المجتمع، ويخلق الرخاء والنهاء فيه وليفتح مجالات العمل لفئات عديدة من البشر، هم في حاجة إليه ليقتنوا بعمل شريف، وجهد حلال. وحتى لا يترك أمر البيع والشراء بدون قيود أو التداين بدون محافظة، نظم القرآن الكريم كما في آية الدين في آخر سورة البقرة (١)، ما يجعل صاحب المال متوثقاً على موالته مطمئناً على حقه بأنه سوف يأتي إليه عند أجله فيحصل بذلك التفاع للاخذ والمعنى، واطمئنان كل منها على الذي له والذي عليه.

وهذا ما يحقق أمنًا اقتصادياً لأنهم يقولون رأس المال جبان، لا يتحرك إلا في الأمان والطمأنينة، ولأن المال هو موطن الأثر في النفسون وانتظام الحياة في المجتمعات، وموطن الشح للفنوس فقد روعي فيه أمور تطمئن وتريح وتنظم الحياة الاقتصادية مثل:

١ - كتابته والاستشهاد عليه: برجلين ثقتين أو رجل وامرأتين من ترضون شهادتهن.
٢ - تحديد الأجل.
- عدالة الكاتب والشهود.
- مراقبة الله بالنسبة للدائن والمدين وأن تقوى سبحانه هي المحرك لكل منها لأنها تردع عن الظلم والجور.
- الوصياء على من كان عليه الحق وإن كان سيفها أو ضعيفاً، أو لا يستطيع الإملاء في هذا الدين، بأن يتولى ذلك عنه وليه العدل.
- عدم الاضرار بالكاتب والشهود أو اخافتهم حتى لا يوجد حجاب دون التعاون بالخير وعليه.
- التأكيد على الاهتمام بالمعروف والتفضيل من القادر على أخيه، وأن يكون التعامل حسناً وعدم الاضرار عليه الحق.

ثم تزيد تعاليم القرآن الكريم الأمر تمكيناً بالرغيب في البذل والصدقة والاحسان في أوجه الخير التي تريح أبناء المجتمع الإسلامي، وتزيل عنهم أسباب البغضاء والقلق والحقد والكراهية وذلك في مثل قوله تعالى ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكتم﴾ وقوله ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخفين فيه﴾ وقوله سبحانه ﴿والذين يؤمنون ما أوتوا وقلوهم وجلة﴾ أي ينقلون سخاء ويخافون الأ يقبل

١ سورة النور. الآية: ٣٣
٢ - سورة الحديد. الآية: ٧.
٣ سورة المؤمنون. الآية: ٢٠
وفي سبيل الانفاق والبحث على عدم البخل بالمال وتوضيح أوجه الخير التي يبذل المال فيها ومقارنة ذلك بالجزء الذي يربى النفسوس، وتطمئن به الأفظة، جاء حث كثير في كتاب الله الكريم على ذلك، مما يستوجب دراسة مستفيدة، وتأليفها واسعة.

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الذي بلغ شرع الله واجتمعت القلوب نحوه قد زاد الأمر توضيحًا بثروة كبيرة تعين الباحث، وتريح المتلقي في مثل قوله: «ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وملكان يقولان: اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط مسكاً تلفاً».

وقوله صلى الله عليه وسلم: «والله في عون العباد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم وقاله «من ستر مسماً ستره الله في الدنيا والآخرة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» فالشحناء والبغضاء يقضي عليها الإسلام بالقضاء على مسبباتها بحيث وضع حلولاً تطمئن إليها الفئات المؤمنة، وترضى عنها لأن هذا هو حكم الله، ومن لم يرض بهكم الله.

1 سورة المعارج. الآيةان: 24، 25
ويؤمر بأمره فقد وصف بأنه كافر وظالم وفاسق

لذا تولى رب العزة والجلال تنظيم ما يتعلق بحياة الناس

في الأموال لأنها مبعث القلق النفسي في كل مجتمع:
- فالتركتات وزعت وأعطي كل فرد نصيبه ذكراً كان أو أنثى
  (كما في سورة النساء).
- والموت يحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار ما
يتصرف فيه دله وهو المثل والثلث كثير.
- ومنع الإنسان أن يوصي بشيء من ماله لأحد أبنائه حتى لا
يفضل اخوته، واعتباره الرسول ظلماً كما في قصة أبي طلحة.
- والغنائم حددت أنصبة كل من يستحقها، وحرم الغلول وهو
الأخير من مال الغنية قبل أن يقسم كما في سورة الأنفال.
- والمستحقون للزكاة وهم أهلها الثمانية الذين تدفع إليهم ولا
يجوز دفعها إلى غيرهم حددتهم (سورة التوبة).
- والربا ومداخيل حرم كما في (سورة البقرة).
- والبيع والمدينة أحلت ونظمت كما في (سورة البقرة)، إلا أن
فيها قوام المجتمع بالتعامل والتسهيلات.
- والصدقة على المحترج واليتم والقريب واللاحسن إليهم
والانفاق على الأولاد والزوجة نظمت ذلك آيات كثيرة في
سورة من كتاب الله الكريم.

1 - سورة المائدة. الآيات: 44، 45، 47.
كل هذا حرص عليه الإسلام لتسير الحياة في المجتمع واعتراف أفراده بالراحة والاطمئنان على معاشهم، وانتظام أحوالهم، والتعاطف فيها بينهم.

فالنفس لا تنتج عملاً في جو مضطرب أرواحاً، ولا سيماً، فيتهيأ الجو للمعاملات والسياقات، ويجوز ذلك العلاقة مع الله فيصل ذلك العمل لرضاه وجنته في الآخرة، والشمر المفيداً التي تعود على الفرد نفسه وعلى مجتمعه بالفائدة الظاهرة.

وفي هذا يقول (اللهم) "رحم الله امرءاً صنع صنعة فأتقضها".

فمن تعاليم الإسلام التي جاءت في كتاب الله الكريم، أو في سنة رسوله المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وهي تخطب أهل الامان، وتطمئنهم نتيجة ما يعملون، وترح نفوسهم بما تقوم به من عمل، يلمس المستقر نظاماً متكاملاً للناحية المالية، التي هي مهمة الأمور وسبب المشكلات في المجتمعات في كل عصر.

- وإذا كان أصحاب الأموال في المجتمعات غير الإسلامية - وخاصة اليهود منهم - قد حرصوا على زيادة أموالهم بأساليب الرضا فإنهم في هذا العصر قد ابتكروا أساليب جديدة من باب أخذ أموال الناس بالباطل وأكلها بالاذم ولآن مبادر الحلال ما حل في يدك، وذلك بابتكار شركات التأمين.
المتعددة حيث نسمع ونقرأ عن:
- شركات التأمين على الحياة بأنواعها لمن حياتهم وأعمالهم في الأرض أو البر أو الجو.
- شركات التأمين على الممتلكات من سيارات ومناجر وبيوت ومزارع ومصانع وغيرها.
- شركات التأمين ضد الأعاصير. كا هو الحال في أمريكا ضد الزنى وغيره.
- شركات التأمين على الحنجرة للمغني.
- التأمين على الساقين للفتيات اللواتي يياهن بسيقانهن.
وبدخلن مسابقات تقام لهذا الغرض.
- التأمين على العينين والعنق والذراعين والوجه ضد التشويه.
- التأمين ضد السرطان، والتأمين على الكلاب والقطط.
- التأمين ضد الحريق والكوارث الأخرى والاضرار المختلفة.
وغير هذا من أساليب التأمين التي حركتها دعاياتهم واعلامهم لاحفظة الناس وجعل القلق يسيطر عليهم فحياتهم في جحيم مستمر، وأعمالهم في بلبلة دائمة، لأن قلوبهم خالية من الامان، وقلب خلا من الايام أصبح نهباً للنزاع المختلفة، وقد وصفه رسول الله (صلى الله عليه وسلم): بأنه كالبيت الحرب.
وإذا كان المسيطرن في مجتمعاتهم يعملون لهم تلك الأمور للسيطرة على عقولهم والتحكم في مقدرات أمورهم
لسلم أمراً لهم واستعبادهم. فإن الإسلام قضى على ذلك بحسن التوكل على الله، وملء القلب إيماناً بخشيته، ومراعاته فقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله (ص): "إِنَّ أَحَدَكُمْ يَجِّعَ نُقُلَهُ فِي بَطْنِ أَمِهِ أَرْبَعِينَ يُوْمًا نَّطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِي هِيَ الرُّوحِ" ويؤمر بأربع كلامات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا الله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" رواه البخاري ومسلم.

ويقول (ص): "فِي حَسْنِ الْتَوْكِلِ وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ لِلِّهِ "لَوْ تَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ حَقَّ الْتَوْكِلِ لَرَزَقُكُمْ كَيْ يرَزِقُ الْطَيْرَ عَشَرَةً خَاصَّةً وَتَرْحَبُ بَطَنَهَا".

وحسن التوكل على الله لا يكون إلا مع كمال الإيمان، وذلك العمل الذي يطمئن النفوس ويزيل عن القلوب القلق والضجر، وفي سبيل المحافظة على المال والاهتمام بأداء حق الله فيه يقول (ص): "ما نفد مال من صدقة بل تزيده بل تزيده". 
وقحصين المال وحراسته والإطمئنان عليه، ليست بدفع أقساط شركات التأمين، ولكن بالزكاة التي تذهب للفقراء والمحتاجين، فتحسن من حالهم وتريح ضمائرهم كا جاء في الأثر: "حرصوا أموالكم بالزكاة".

والاعتماد على الله وحسن التوكل عليه مدخل إيماني قوي للنفس ومبشع على الأطمئنان والراحة كما في وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا ابن عباس رضي الله عنها، قال كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومًا، فقال: "يا غلام إنك أعلم كلمات: أحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجاهك، إن خالقك إنك فاسل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعمل أن الأمة لو اجتمعت عن أن ينفعوك شيء لم ينفعوك إلا شيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك شيء لم يضروك إلا شيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقاليم ووجدت الصحف" رواه الترمذي.

والأمن من الكوارث لا يكون إلا بقوة الإيمان وسلامة العقيدة ومراقبة الله دائمًا، فالمؤمن يدرك من نصوص كتاب الله، وهذى رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم). إن الكوارث تساق للعبرة والعظة وتبنيه الغافلين، ومعاقبة العاصين المعاندين وإن الخير الذي ينزل على النفس فهو من عند الله،أما الشر فما كسبت أيدي الناس قال الله تعالى: "فما أصابك من حسنة"
فمن الله وما أصابك من سبئة فس نفسكٖ(1)، وإن المؤمن هو الذي يتعرض ويرتبط بالله، أما غيره فتمر عليه الأحداث كما تمر على الجمادات بل ان من الجمادات ما يخشى ويخاف
قال تعالى: (وما تغني الآيات والذكرى قوم لا يؤمنون)(2)
ويرى بين المؤمن وغيره بأن المؤمن يتحمل ما ينزل به في نفسه أو ماله أو ولده أو ما يحيط به بصبر وطمأنينة ورضاء، فيجرع على ذلك، أما غيره فيتسخط ربه ويبطل عمله، وتبقى نازلة عليه - كما قال كذلك بعض العارفين: يقول (الحمد لله): "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الكامل إيماناً فالإمثال" ويقول (الحمد لله): "لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقى الله وليس عليه ذنب" رواه مسلم، ولذا قيل "المؤمن مبلى" ليكون في ذلك حك لا ياماه، وميزان الدرجة صبره واطمئنان قلبه.
ومكر الله وعاقبه وغيره سبحانه على نعمه، تكون دائما نصب عيني المؤمن، فهو يخشى ويخاف على نفسه أولاً وهل هو من المقبولين أم لا؟ كا جاء في الأثر "المؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فهو يخشى من عاقبه ويخاف من مكره سبحانه.

1 - سورة النساء. الآية: 79
2 - سورة بونس. الآية: 101
ونقمته، قال تعالى: "فأؤمنوا مكر الله فلا يؤمن مكر الله إلا القوم الخ assassون".

وخوف من نقمة عامة تصيب الجميع بعمل البعض قال تعالى: "أؤمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون* أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحي وهم يلعبون"

* أو قوله تعالى: "أتمت من في السيء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور* أو أمنتم من في السيء أن يرسل عليكم حاصباً فتعلمون كيف تذين"، وما سياق ما حصل للأمم السابقة التي عاندت شرع الله وكذبت كتبه ولم تؤمن برسله إلا عبر وعصابات للقلوب المؤمنة، لتدرك أن الراحة والطمأنة في أمور الحياة وبعد الممات في طاعة الله وإتباع رسوله (ص) وما جاء به من شرع من عند الله.

لكن من هو هذا المؤمن الذي تساق له التوجيهات ويلغ بالأوامر؟

إن مبعث الأمن في المجتمع هو الاعتقاد الحاسم بسلامة الأوامر والتصديق بها، وتطبيقها وجعلها منهج حياة. يقول

\[\text{1 - سورة الأعراfe. الآيتان: 97, 98} \]
\[\text{2 - سورة الملك. الآيتان: 16, 17} \]
\[\text{3 - سورة الأعراfe. الآية: 99} \]
(وَاللَّهُ لاَ يُؤْمِنَ اللَّهُ لاَ يُؤْمِنَ اللَّهُ لاَ يُؤْمِنَ) فَهَنَا قُرْن
الأئِمَاتُ بِتَأْمِينِ الجَارِ وَالْمَهَافِظَةِ عَلَيْهِ. وَهَذَا أَدْبٌ مِنْ أَدَابِ
الإِسْلَامِ الْعَالِيَةِ وَكُلٌّ أَدَابُهُ عَلَيْهِ، لَنَا مَبْعِثُ للآمِنِ، فَقَدْ
روِى أَبُو هُرَيْرَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ﴿مِنْ كَانْ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخْرَ فَلِيَقُلْ خَيْرًا أوَ لَيُصِمَّتْ وَمِنْ كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخْرَ فَلِيَكُرْمَ جَارِهُ وَمِنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْأَخْرَ فَلِيَكُرِمْ ضَيْفَهُ﴾ رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمَ. وَقُولُهُ ﴿لاَ
يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحْبَبْ لَأَخِيهِ مَا يَحْبِبْ لَنَفْسِهِ﴾ رَوَاهُ البُخَارِيُّ
وَمُسْلِمَ.

وَالأَئِمَاتُ يَذْبِبُ الطَّبَاعَ وَيَزْكي النَّفْوسَ، وِبِعَطِيَهَا نَظَامًا
يُؤْلِفُ بِنِشْأَةِ القُلُوبِ فَقَدْ رَوِىَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُولُهُ في حَدِيثٍ
رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿لَا تَحَاسَدُوا لَا تَتَنَاجِشُوا وَلَا
تُدَابِّرُوا وَلَا تَبيِّعَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادُ اللَّهِ أَخَوَا
المُسْلِمُ أَخُوِ المُسْلِمِ لَا يُظْلِمُهُ وَلَا يُخْذَلُهُ وَلَا يَحْرُقَ الْتَقْوَى هَاهَا
وَيَشِيرُ إِلَى صَدِرِهِ تَلَاتَمَّاتٍ ﴿ بِحَسَبِ اَمْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ أَنَّ
يَحْجَرُ أَخَاهُ المُسْلِمُ، كَلْ المُسْلِمُ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامُ دَهِ وَمَالهُ
وَعَرْضُهُ ﴿ مَتَفَقٌ عَلَيْهِ.

فَالآيَاتُ مَرْتَبَتُهُ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ لَنَا أَمْكِنُ فِي النَّفْسِ
وَأَصَبَّتِ للجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَا قَلْ لَمْ تُؤْمِنْ
وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمْ يَدْخَلِ الآيَاتُ فِي قَلْبِكُمْ وَإِنْ تَطَيِّعُوا اللَّهُ}
ورسوله لا يلتمكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم* إذا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا واجهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون. فالإيام الذي يلمس بشاشة القلب لبعت الإيمان فيها حيث يوجد مجتمعاً مثالياً في نظامه وتسيره للحياة، وأفراداً متميزين في أعمامهم وصرفاتهم واهتمامهم بغيرهم، ويراقبون الله في كل عمل ويتشونه ويتفنون عقبه فتطمئن قلوبهم ويطمئنوا غيرهم.

هذا اليامان الذي جاءهم هم من الله ونعمة كبيرة لا يحس بدورها إلا من ذاق طعمها لأن لها تأثيراً في تخفيف المصاب، وتحمل الصعاب، والتبرر في الأمور والصبر على كل نازلة والرضى بقدر الله والانفاق في سبيله والطعم في جنته والخوف من عقابه والتعلق به في كل أمر لأن له سبحانه الحكمه ويفعل ما يريد قال الله تعالى: *قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء علیم يمن على أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيام إن كنتم صادقين.۶۴۱ 

وحقيقة هذا الإيام هو الاستجابة لأمر الله طاعة الله

١ - سورة الحجرات. الآيات: ١۴، ١۵.
٢ - سورة الحجرات. الآيات: ١۶، ١٧.

١٦٢
واستجابة لرسوله، وطاعة لولاة الأمور الذي سلمهم الله أمر قيادة الأمة والنصح لهم ما أطاعوا الله فاتنا ولم يأمروا ببعضية تخلف شرع الله، قال تعالى مخاطبة الفئة المؤمنة (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنت تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلكم).

والإيمان إذا استقر في القلوب يشع الأمن في المجتمع، ويدعو بواعز باطني كل فرد من أفراد هذا المجتمع مهما كانت مستوثقه إلى احتج رقابة على نفسه، واهتمام بكل ما وكل إليه ليعمل بهدوء واطمئنان، رأفة من يتعلق به أمر من أبناء المجتمع احتساباً للنتيجة عند الله أجرًا مدخرًا اثمارًا بهذا الدين وشرائعه وهذا هو أكبر مهدي للموشوح، وأقوى منشط يدفعها للعمل ونكران الذات يطمئنها على النتائج، يلمع القارئ مثل هذا في نصوص كثيرة مثل حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي رواه مسلم في صحيحه: "سبعه يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشام نشأ في عبادة الله ورجل معلق قلب بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا فيه وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إن أخف الله ورجل تصدق بصدقه فأخفاهما حتى لا تعلم شمالة ما تنفقه

1 سورة النساء. الآية: 59.

163
بينه ورجل ذكر الله خالياً فضافت عيناه.

وأثر الإيمان حسب النصوص الشرعية، يطمئن النفوس ويهدئ المجتمعات والقلاقل والفنن والأزمات في أمور كثيرة واضطررت فيها أنظمة الأمم وتباينت فيها الآراء رغبة في وجود حل، والقضاء على مشكلة اجد ان هذا الحيز لا يفيها حقها، ولكن حسبنا الاشارة الى نماذج منها مثل:

- الأمن الزراعي وتوفر الغذاء نجد هذا في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم مثل سورة يوسف (1) والنحل (2) وغيرهما.
- الأمن الصحي والاهتمام بالمريض كوصايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بزيارة المريض وهديه في العلاج الطبي حسبا ذكر ابن القيم في كتابه: زاد المعاد في هدي خير العباد.
- الأمن الأسري ورباط الزوجية، كما في قول الله تعالى:

والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجهنا وذرياتنا قرة أعين (3) وقوله تعالى (4) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (5).

1 - اقرأ الآيات من 47 - 49 وغيرها.
2 - اقرأ الآيات من 66 - 78.
3 - سورة الفرقان، الآية: 74.
4 - سورة الروم، الآية: 21.
الأمن العائلي والاهتمام بالأولاد كما جاء في سورة النساء في تقسيم التركات، وفي قول الرسول (ﷺ): «لئن تترك أولادك أغلياء خير من تركهم فقراء يعفون الناس، وفي منعه صلى الله عليه وسلم الوضوء للولد وقوله: لا وصية لوارث».

الأمن التربوي وتعليم الأبناء يوضح مثل هذا وصية لقمان لابنه وحديث رسل الله (ﷺ) في تعليم الأولاد الصلاة: مروا أبنائكم بالصلاة لسمع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» متفق عليه.

الأمن في الأوطان وحمايتها كما قال (ﷺ): «نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان» والبلد الأمن هو ما جاء ذكرها في سورة البقرة وسورة إبراهيم وغيرهما.

الأمن الأخلاقي وتهذيب النفوس، كما في آيات من سورة النور في تحريم الزنى ومنع الخوض في أعراض الناس وفي آداب الاستدعاة وفي فرضية الحجاب وآياته في سورة الأحزاب.

أمن العقيدة وسلامة القلوب لارتباطها بالله وحده ونبذ كل ما سواء، يقول تعالى في هذا: الذين آمنوا وطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب» وآيات من سورة الروم.
وسورة الواقعة تربط الإنسان بخلافته المتصرف سبحانه في جميع الأمور.

- أمن المسكن وتوفر المعيشة وتوضيح ذلك آيات متعددة من كتاب الله الكريم كما في سورة النحل.

- الأمن الاقتصادي وحرية الحركة في الأموال بيعًا وشراء بعد أداء حق الله فيها بالزكاة والصدقة وقد حظيت الزكاة والصدقة بتوجهات كبيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة لتهذيب النفوس وتعميدها على البذل والعطاء براحة نفس واطمئنان خاطر وفي السر أكد أنها أبعد عن المراه.

- تأمين الجار ورعايته في أهله حيث كان جبريل يوصي رسول الله (السلام عليه) بالجار حتى ظن أنه سيروه.

- الأمن بالهجرة لسكان آخر إذا كان لا يستطيع أداء شعائر دينه ويجد مضايقات من أعداء دينه وقد حكي الله عمن لم ينج بدينه وهو قادر فقال "إن الذين توفاه الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا أم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أولادك فأوّلهم جهنم وسوات مصيركم".

ولكي يجعل الله هؤلاء المستضعفين غير القادرين على الهجرة والنجاة بأنفسهم، فإنه يطمئنهم إن الفئة المؤمنة مأمورية بجهاد لتخلصهم ونصرتهم قال تعالى "ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء".

166
واللبنان الذين يقولون بتنا أخرجنا من هذه القرية الظلم أهلها وإجعل لنا من لنك ولية وإجعل لنا من لنك نصيرها.

الأمن بالتوية وهذا هو أمن المصير وراحة النفس في الدنيا بالابتعاد عن أمر يؤرق النفس ويخيفها التلبس به وآيات التوبة في كتاب الله الكريم كثيرة وممتعدة.

ويوضح نماذج من ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله: "الله أشهد فرحًا بتوية أحدكم من صاحب راحة ضاعت منه في أرض فلها والطيبه وشرابه فلم يمسها إنس منا نام فاستيقض فإذا هي وافية بجانبه فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عفدي وأنا ربك (أو كيا قال)."

- أمن النفس بمجاهدة الكفار لاظهار دين الله ولا سعادة البشرية بتلبغهم. كما توضح ذلك سورة الانفال وسورة التوبة وسورة البقرة وغيرها، وفي مواطن كثيرة من كتاب الله لأن قمع أعداء الله وأعداء رسالته لا تكون إلا بقوة السلاح ودفاع المجاهدين المتحمسين لاظهار دينه، يقول (صلى الله عليه وسلم) "ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا".

- تأمين النفس من التأثيرات الخفية وحفظها من أثر ذلك كالسحر ونفسات الشيطان كما جاء في المعوذتين، وقل هو الله أحد، وآية الكرسي، ففي هذا حرص للنفس، وأمان لها من المؤثرات النفسية ووسواس الشيطان واتباعه.
الرضاء والقناعة بما قسم الله حتى لا تتطلع النفس إلى ماني
أيدي الناس فيكون ذلك من دواعي كفر النعم، فقد قال
رسول الله (ﷺ) "إذا رأى أحدكم من فضل عليه بمال أو
سلطان فلينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو
فوقه، فإن ذلك أجدر بشكر نعمة الله عليه" رواه مسلم.
- راحة النفس بالعبادة وفي مقدمتها الصلاة فقد كان رسول الله
(ﷺ) إذا حز به أمر أو دامه قال: "يابللاء أرحنا بالصلاة"،
كما كان من قوله عليه الصلاة وسلم "وجعلت قرة عيني في
الصلاة".
- والأمن بالمشورة في كل أمر حتى يخف ما على كاهل الإنسان
باعطاته للآخرين فيشاركون في الرأي، كما في قوله تعالى
"فشارؤهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب
المتوكليين".

وغير هذا من الأمور التي جعلت الشريعة الإسلامية فيها
حلولا لكل ما يعرض الإنسان في هذه الحياة حيث يخرج من
المخارج ما يريح نفسه ويعينه بالغلب على المشكلة التي
اعترضته لأن في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ما
ينير الطريق، ويوضح المعالم ويهدى النفس.
وصدق الله إذ يقول "ما فرطنا في الكتاب من شيء"،
وقد وصف الله الفئة المؤمنة بآيات كريمة في مطلع سورة
168
سميت باسمهم أعطتهم صفاتها مطمنة مريحة لأنهم في يقين
ورضا، قال تعالى: «قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلواتهم
خاضعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم
للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على
أزواجهم أو ما ملكت أيتهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى
وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماتاتهم
وعدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون *
أولئك هم الورثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها
خالدون»١

أما رسول الله (ﷺ) فقد ترك أمته على المحجة البيضاء
ليلها كنهاها لا يزيغ عنها إلا هالك، وترك فيهم وصية خالدة
تريح النفوس، وتهدي المجتمعات وتضمن العدالة وسمو
المكانة والاستقرار لم أنتبع ذلك يقوله (ﷺ): "تركت فيكم
أمرين لن تظلانا بعدي ما تمسكن بهما: كتاب الله وسنتي".
ففيها المخرج من كل معضلة، وفيها الحل لكل مشكلة،
وفيها هدوء البال وراحة الضمير والراحة من كل قلق، وفيها
الرابطة القوية بالله عملاً وبشرعه منهج سلوك.

فقد قال بعض العارفين: كنت كلاً ألّت في مشكلة، أو

١ - سورة المؤمنون. الآيات ١٠ - ١١
ضجرت من أمر يقلقي، ألجأ لكتاب الله فأفتحه وينفتح معه الهدوء والاطمئنان لنفسى لأني أجد فيه حلا لكل أمر وخروجًا من كل مصيبة. نسأل الله أن يعيننا على فهم كتابه وسنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وامتثاله عبده وتطبيقه والسير وفق شرعها باستحضارهما في كل وقت والاهتمام بها في كل مناسبة والرضا بما فيها والعمل بها فهماً وتحقيقتاً، والله الموفق لكل خير.